Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البشر الموجودين في داخله، وإلى هناءة الحياة وحريتها في الخارج مقارنة مع تعاسة الحياة وقيدها داخل المعتقل، وفجأة يجد أمامه (صونيا) وقد بكرت في المجيء إليه مع إشراقة الصباح الأولى مبتسمة، وادعة، لاتمد إليه يدها لأنها خجلة وجلة. حين رآها (راسكولنيكوف) خرّ راكعاً على قدميها، فذعرت، وشعّت عيناها بالسعادة، لأنها فهمت بأنه يحبها حباً ليس له نهاية. وأراد كل منهما أن يتكلم، لكنهما لم يتكلما، بل لم يستطيعا الكلام، وقد امتلأت عيونهما بالدمع، لأنهما كانا في فجر جديد. ويحملان شوقاً كاملاً لأجل حياة جديدة، فالحب بعثهما بعثاً جديداً أيضاً.

وفي الأسطر الأخيرة من الرواية يتمنى دوستويفسكي لو أنه يستطيع الكتابة عن ندم (راسكولنيكوف) أو تصوير جزء منه لأن هذه التيمة هي من يشغل باله، ومع الإقرار بأهميتها وخطورتها لايقوم دوستويفسكي بالكتابة عن ندم (راسكولنيكوف) لقناعته أن هذه الموضوعة بحاجة إلى رواية جديدة، وبهذه الأسطر ينهي رواية (الجريمة والعقاب) نهاية عجولة، بل إن أسلوب الكتابة في الفصل الأخير من الخاتمة المؤلفة من فصلين يتغيّر فيصير مرتبكاً مشيراً بوضوح إلى رغبة الكاتب الملحة في إنهاء العمل.

وأياً كانت الحال، فإن رواية (الجريمة والعقاب) هي إحدى الروايات العالمية المذهلة في موضوعتها، وتحولاتها، وتفصيلات أحداثها من جهة، وفي بنائها الفني المحكم من جهة ثانية، فالشخصيات في الرواية متضافرة في التداوب والمواجهة والمضايفات وكأنها المرايا التي تصقل بعضها بعضاً في كل صورة عاكسة إذ لاتغدو شخصية (راسكولنيكوف) هي الشخصية المحورية الوحيدة في الرواية، وإنما تبدو الشخصيات كلها ذات محورية لاغنى عنها في هذا العمل الضخم، والأهمية التي تلفّ العمل لفاً، كما أقدر، هي نجاة هذه الرواية من أن تكون رواية بوليسية على الرغم من توافر كل العناصر والمفردات والحوافز التي تصنع رواية بوليسية هائلة بامتياز، وهذه الأهمية تصير أكثر بروزاً حين نجد أن لوبان القارئ لايتوجه نحو ما اعتادت الرواية البوليسية عليه، أي ستر الأحداث في البداية وتشابكها، ثم الكشف عن أسرارها في النهاية، أو مطاردة القارئ للدروب الموصلة إلى كشف الفاعل أو المجرم، وإنما يتوجه القارئ إلى التعاطف مع المجرم (راسكولنيكوف) ونشدان الخلاص له من هذه الجريمة الورطة التي لم يحصد من نتائجها سوى تدمير حياته، وتشويه صورته عند أمه وأخته ومعارفه، وبالتالي عند نفسه هو، فقد صار مخلوقاً تائهاً حائراً لولا وجود